بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإنَّ مَن يُقلِّب نظره في العالَم، ويُمعِن في حال أهل الإسلام، وما يلاقونه من اضطهاد بالغ متمثل في أشكال مختلفة من الطرد، والتشريد، وانتهاك الأعراض، وهدم البيوت، واغتصاب الأراضي، بل وأعظم من ذلك اجتماع مِلَل الكفر على اختلاف مشاربها، وتعدد طرقها في القضاء على الإسلام يجد العجب العجاب، وليس هذا بغريب على أعداء الله، إنما الغريب سعي شرذمة من أبناء المسلمين في محاربة الإسلام والعمل على إيقافه.

وإنَّ مَن ينظر هنا وهناك لربَّما تسرَّب اليأس إلى قلبه، وتخلَّلت الشكوك إلى نفسه في نصرة الله لهذا الدِّين، وإظهاره على كل المِلَل وكافة النِّحَل، إلَّا أنَّ المسلم الحق ما إنْ يقَع هذا الهاجس في نفسه إلَّا ويثوب إلى النصوص، ويعود إلى البشائر النبوية القاضية على هذه الخواطر والقاطعة لدابرها.

ومن ذلك ما جاء عن تميم الداري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليَبْلُغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك اللهُ بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّين، بعِزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل، عِزّاً يُعِزُّ اللهُ به الإسلام، وذُلّاً يُذِلُّ اللهُ به الكفر»[1].

فقوله ﷺ: «ليَبْلُغنَّ هذا الأمر» أي: الإسلام والدِّين، ومنه حديث: «مَن أحْدث في أمرنا...» أي: ديننا.

وقوله: «بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ» أي: أهل القرى والبوادي والمدن والأمصار.

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٣).

فالمدر: جمع مَدَرَة وهي البنية، والوبر: المراد به: وبر الإبل؛ لأن بيوتهم يتخذونها منه[2].

ففي هذا النص العظيم يُخبر ﷺ خبراً متضمناً البشارة لأُمَّته بظهور دينه على سائر الأديان، ووصوله إلى أماكن كثيرة من البوادي والقرى والمدن، وهذا مقيَّد بمن أراد الله به خيراً من أهل تلك المواضع، يبيِّنه قوله ﷺ: «أيُما أهل بيت من العرب والعجم أراد الله بهم خيراً أدْخل عليهم الإسلام»[3].

ولا يَرُدُّ ذلك أو يوقفه كيد أعداء الله، مهما حاكوا من مكائد، وأنفقوا من أموال، ودبَّروا من حِيَل، فمآل ذلك كله الهوان والضعف، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨]، ومصير الأمر إلى وقوع الغلبة عليهم ورد كيدهم في نحورهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

والعاقبة إتمام نور الله وبلوغه مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

وصدق من قال:

ومن خاصمَ الرحمنَ خابت جهودُه
وضاعت مساعيهِ وأتعابه سُدا

وفي معنى الحديث أحاديث أخرى منها قوله ﷺ: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللَّات والعُزَّى».

فقالت عائشة: يا رسول الله، إن كنتُ لأظنُّ حين أنزل

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/١٤٥).

(٣) رواه أحمد (١٥٩١٨)، والحاكم (٩٦) واللفظ له، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥١).

الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ أنَّ ذلك تامّاً، قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله»[4].

وقال ﷺ: «إنَّ اللهَ زَوَى لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإنَّ أُمَّتي سيبلغ مُلكُها ما زُوِي لي منها...»[5] الحديث.

وقال ﷺ: «بشِّر هذه الأمة بالسَّناء، والرفعة، والنصر، والتمكين في الأرض، فمَن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب»[6].

فهذه النصوص وما في معناها تُشِع الأمل في نفس المؤمن، وتقذف الفأل في قلبه، وتقوِّي ثقتَه بربِّه في انتصار هذا الدِّين وعلوِّه على غيره.

وبتأمل حديث تميم الداري ﷺ نجد أنه دلَّ على فوائد عديدة:

منها: تحقُّق بعض ما أخبر به ﷺ من انتشار الإسلام في قرنه والقرون بعده، ولا يزال الأمر في ازدياد ولله الحمد، ولهذا قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد أظهره الله عِلْماً وحجةً وبياناً على كل دين، كما أظهره قوة ونصراً وتأييداً، وقد امتلأت الأرض منه ومن أُمَّته في مشارق الأرض ومغاربها، وسلطانهم دائم لا يقدر أحد أن يزيله»[7].

وقد اعترف أعداء الله بهذا، ولَمَّا تفطَّنوا له فزعوا أشدَّ الفزع فأعدوا العُدَّة لمحاربته.

ومن ذلك ما قاله أحد كتابهم: «إنَّ الإسلام يُفزعنا

(٤) رواه مسلم (٢٩٠٧).

(٥) رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٦) رواه أحمد (٢١٢٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣).

(٧) الجواب الصحيح لابن تيمية (٦/٣٦١).

عندما نراه ينتشر بيُسْرٍ في القارة الإفريقية».

ويقول آخر: «لا يوجد مكان على سطح الأرض إلَّا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدِّين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر».

وتحقُّقُ هذا الأمر فيه عَلَمٌ من أعلام النبوة ودليل من أدلتها.

ومنها: أن فيه بشارةً للمسلمين عموماً، وللعلماء والمصلحين خصوصاً، وتسليةً أيضاً لِمَا يُرى من محاربة الإسلام وإيصال الأذى إلى أهله بأنَّ العاقبة للإسلام والظهور له، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٢].

وهذه الفائدة تقودنا إلى فائدة هامة وهي:

حثُّ المسلمين على الجِدِّ والعمل لرفع الذل الذي حلَّ بهم، ومقاومة الباطل الذي يقف أمامهم، وهذا يتطلب جهوداً مكثفةً من الأُمَّة؛ من استقامتها على أمر الله، واجتماعها على الحق لا غير، واقتفاء الهَدْي النبوي في الإصلاح ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، والعودة الصادقة الجادَّة إلى الكتاب والسنة، والأخذ بكل ما جاء فيهما من عقيدة وعبادة وأخلاق، وبيانهما على أيدي من ائتمنهم الله على وحيه من العلماء الربانيِّين وطلاب العلم الصادقين، وما أجمل في الوقت نفسه أن يجد العلم ونشره دعم الحكام الناصحين وولاة الأمر الموفَّقين، فتلتقي الحجة والبيان مع تأييد السلطان، وبهذا تنتشر السنة ويفشو الخير في الناس، ويعُم النفع فيهم، فلا يتمكن مخالف للحق من رفع رأسه في وجهه، وبهذا -أيضاً- يُصان العلم

الشرعي ويحافظ عليه من عبث العابثين، فلا تطاله يد الامتهان، فيبقى صافياً من كدر الدخلاء، ونقيّاً من دعاوى الأدعياء؛ وبهذا يتحقق الاستخلاف الذي وَعَد الله به عباده في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

هذا مع الصبر التام، وعدم العجلة، ولزوم الرفق، والابتعاد عن العنف، وضبط النفس بزمام الشرع، وتفويض الأمور إلى الله تعالى، والثقة به، والإقبال عليه تعالى بالعبادة بمفهومها الشامل لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، واجتناب الفتن وغلق أبوابها، والدعاء والتضرع إلى الله تعالى، فمنه النصر ومن عنده القوة، قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧]، وقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وختاماً: فليس الحديث عن بشائر النصر للإسلام وترقُّبها يُقصد منه قضاء الأوقات، أو تسكين الآلام، أو التسلِّي به في المجالس، لا، بل هذا خبر نعتقد صِدْقَه، وحَدَث ننتظر تحقُّقه، نقوِّي به رجاءنا في الله، ونستعين به على العمل لدينه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

هذا وصلَّى الله على نبيِّنا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

سلسلة مطويات شبكة بينونة

المستقبل للإسلام

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE